ديونيزوسية الفلسفة المعاصرة
فلسفة الذات والأزمات

الدكتور: شروف محمد

أستاذ الفلسفة العمة محاضر "ب"
جامعة باتنة ١، (الجزائر)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

كان لظهور **فريدريك نيتشه** (١٨٤٤/١٩٠٠) وقع كبير على الساحة الفلسفية الأوروبية المعاصرة، من خلال فعل التفلسف عند نيتشه المزلزل لبناءات الفلسفات النسقية، خصوصا الحداثة وفلسفة الأنوار، حيث عمد نيتشه إلى خلخلة المعتقدات الفلسفية وعلى رأسها إدعاء بناء أنساق منطقية للفلسفة، وكان لفلسفة **ديكارت وكانط وهيغل** على وجه الخصوص الحظ الأوفر في ذلك...، هذه البنيات المنطقية التي جاءت كآفاق لامتدادات إرث إغريقي عريق، هذا الأخير لم يسلم هو الآخر من مطرقة نيتشه وسيفه، الأمر الذي عجل دخول: " **الفلسفة الغربية دور أزمة عميقة عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، وتتمثل أعراض هذه الأزمة في ظهور حركات فكرية تعارض المذهبين الأهمين في الفكر الأوروبي الحديث**"[١]، هذه الأزمة مدت الفلسفة المعاصرة بنفس مغاير، ووتيرة مجاوزة للماضي بتشكيلاته وتلويناته، تُجاوزُ الأفكار وتُكسرُ الأنساق، وتُحطمُ الحقائق على جدران الشك والريبة، من أجل الخروج من أزمة اليقين المسيج بدوغمائيات تطمس الحقائق بدل توضيحها.

بهذا يكون نيتشه قد أضاف جرحا نرجسيا للحضارة الغربية؛ إذ قام بتحويل اهتمام الفكر والفلسفة من العمق الداخلي (النفس/العقل) إلى العمق الخارجي(الحواس/الجسد) بحسب تعبير **ميشال فوكو**، وبناء عليه صار بالإمكان توليد الفلسفة من رحم الجسد، بعد أن كانت وقفا على العقل أو التجربة أو عليهما معا(توفيقية كانط). فقدان التناغم والانسجام كلف الحضارة الغربية بحسب **فرويد** ثلاثة جروح مست نرجسيتها؛ الجرح الأول سببه **كوبرنيك** حينما غير مركزية الكون وضرب المؤسسة الكنسية في أسسها الإيمانية وإعتقاداتها العلمية، والثاني الجرح **الداروينـي** الذي آمن بأن أصل الإنسان قرد، والثالث **فرويد** نفسه الذي وجه اهتمامات علم النفس من دراسة الوعي إلى اللاوعي، وقرر من خلال ذلك حقائق، واكتشف أسرارا لم يكن لنا كشفها.

بناء على ما سلف، سنحاول استقراء واقع الفلسفة الغربية المعاصرة، من خلال فلسفة **نيتشه** على اعتبار أنه أبو الفلسفة المعاصرة ورسولها المبشر، بل تأثيرات فكره وفلسفته تجاوزت أسوار الجامعة والسجالات الأكاديمية إلى المجتمع على اختلاف أطيافه، وهو ما يؤكده لنا **روجيه غارودي** في قوله:" **إننا نُلمح بذلك إلى رؤية نيتشه الذي يلهم عن وعي أو لا وعي، عددا كبيرا من مبادرات الشبيبة المعاصرة**"[٢] نعوز سبب هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التأثير إلى المباحث الفلسفية التي طرقها نيتشه درسا وتمحيصا، فالدارس لنيتشه وفلسفته، يجد نفسه مرغما على اقتحام ثلاثة أرباع مساحة الفلسفة، ذلك أن **نيتشه** تنوعت دراساته ومناقشاته لقضايا الفكر والفلسفة من مبحث الإبستيمولوجيا، والأنطولوجيا والأكسيولوجيا...بالإضافة إلى أن فلسفة نيتشه أشبه ما تكون بأسلوب حياة ونمط عيش أكثر منها فلسفة فكر مجرد، فلسفة محكومة بالصيرورة ومتميزة بالحيوية، ما يؤهلها ربما لمجاراة التسارع الذي يمتاز به عصرنا.

كما حملت فلسفة نيتشه طابع التبشير بانقضاء عهد الفلسفات الكلاسيكية التي جمد فكرها وتفكيرها في حمد أحد الصنمين، العقل والحس (الأساطير الكبرى بتعبير ليوتار)، ليأتي نيتشه على قلب هذه الأسس من خلال الإبعاد والاحتواء، فقد احتوت فلسفة نيتشه التيارات السابقة عند قوله بفكرة الجسد، المستوحاة من الإله الإغريقي ديونيزيوس، إله الخمر وما يستتبعه من لهو وشغف. وبالعودة إلى المشهد اليوناني يمكننا أن نقف عند أمرين بالغي الأهمية على ترتيبهما الكرونولوجي: الأول يتمثل في عزوف العامة عن عبادة آلهة النبلاء، بالتوجه إلى عبادة الإله **ديونيزوس**، وفي هذه الفترة صارت الآلهة هي المرشد والدليل والناصح للإنسان، وتجسد ذلك في الأعمال المسرحية لكل من **أيسخولوس** و**سوفوكليس**، والأمر الثاني يتمثل في إزاحة العقل للآلهة، ولهذا صار الإنسان سيد نفسه ومصيره، وهو ما تصوره لنا أعمال **يوربيديس**، تأثيرات هذا الموروث في نيتشه والبحث عن أكسير الحياة أدى به إلى تحريف زاوية النظر، حيث بدل المفاهيم فتغير الاستعمال، بل غير مركزية الذات العارفة (الجسد/ديوان نيتشه)، التي حاولت كل الحداثة التمركز حول الفلسفة/النسق(العقل/الحس)، يمكننا أن نجمل ما تقدم في التساؤل التالي: **ما نتائج خلاص الفلسفة الغربية المعاصرة من النسقية المغلقة إلى الذاتية المتحررة على الفرد والمجتمع المعاصرين من خلال النص النيتشوي؟**.

نيتشه فيلسوف الآن وفلسفة البعدية:

كغيره من الفلاسفة عانى نيتشه مرارة السؤال الفلسفي بكل كثافته وثقله، وكما هو معلوم فالسؤال الفلسفي له ميزاته الخاصة التي تميزه عن أسئلة باقي التخصصات والمجالات الفكرية والمعرفية والعلمية، السؤال الفلسفي يغطي مساحة أكبر، مما يستوجب تمرسا فكريا أكبر وتجريبا أعمق، وهي حال السؤال النيتشوي ثلاثي الأبعاد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول نيتشه : " **الانتظار والتأهب، انتظار أن تنبثق منابع جديدة أن ينتظر المرء عطشه ويتركه، حتى يصل إلى أقصى مداه كي يكتشف منبعه**"[٣]، هذا النص يضعنا في صلب الموضوع، فنيتشه أراد من وراء كل نسقه الفلسفي -إن جازت التسمية والوصف- أن ينسف كل التقاليد وكل الأصنام التي راكمها التاريخ، هذه التراكمات التي عملت ولازالت تعمل على طمس الحقيقة.

حمل نيتشه على عاتقه تحطيم الأصنام التي راكمها التاريخ الإنساني، على شكل ترسبات وطبقات عملت على تعمية العين رؤية الواقع الحقيقي وسد الأذن عن سمع صرخات الحقيقة المنبعثة من أرجائه، وفي كلمة الصنم إحالة إلى العدمية وانتفاء الحياة من خلال ما يعتنقه الإنسان من دوغمائيات جافة تبعده عن إنسانيته، وتربطه بعوالم فوق أرضية وفوق إنسانية ليس بإمكان أي عقل البرهنة على وجودها.

يقول نيتشه في كتابه أفول الأصنام:" **كل ما دبره الفلاسفة منذ ألفيات لم يكن سوى موميات أفكار؛ لا شيء حقيقي خرج حيا من بين أيديهم**"[٤] هنا بدأت مطرقة نيتشه بدك الصنم الأكبر الذي يعبده هؤلاء الفلاسفة ودرجوا على تسميته (العقل)، الذي عمل على إفراز مقولات الميتافيزيقا، والجوهر، والذات، والأسمى، والحقيقي... أدى تعامل الإنسان مع العقل ومقولاته ووفق قوانينه إلى العيش في حالة اغتراب كلي عن واقعه وصرفه إلى الاهتمام بعوالم مفارقة، وصرفه عن الاهتمام بواقعه القريب، والميتافيزيقا(وما أفرزته من ثنائية للعالم؛ عالم ظاهر حسي وعالم فوق حسي حقيقي) أو العالم المفارق ليس إلا لعنة من لعنات العقل مرد كل الأوهام والأباطيل، عمل الفلاسفة من خلال سلطة الشبكة المفاهيمية التي عمل على حياكتها عنكبوت صنمهم الأكبر (العقل) على تسميم الحياة ونشوتها، وعلى الفرد المعاصر بنظر نيتشه أن يعمل من أجل الانفتاح على قراءات جديدة للواقع والحياة، من أجل أن يكتشف الحقيقة بنفسه.

قيمة هذه الحقيقة تقاس بمدى ارتواء العطش الحيوي والنهم الإكتشافي للفرد، وقوده في رحلته الاكتشافية الروح الملتهبة أو المستعرة، هذه الروح التي لا يرتاح لها بال ولا يهدأ لها نفس، كما يصفها نيتشه في أبيات شعرية في كتابه" هو ذا الإنسان Ecce homo" قائلا:[٥]

نعم، أعرف أصلي!
شره كاللهب
استهلك نفسي متوهجا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نورا يصبح ما ألمسه
فحما يمسي ما أتركه
مؤكد أنا لهب

تعكس هذه الروح الصورة التي يجب أن يتشكل عليها الإنسان ما بعد الحداثي من جهة، ومن جهة أخرى تعكس هذه الروح التي تسكن نيتشه وفلسفته موقفه من التراث/الماضي، وهو المنهج الذي اتبعه نيتشه على طول خط فلسفته، البحث في أصل(شروط) تكون حقيقة ما، ومن ثمة فحصها وتمحيصها ونقدها، وتظهر الذاتية مع نيتشه في أعتى صورها ومعانيها في قول نيتشه: " نورا يصبح ما ألمسه" و"فحما يمسي ما ألمسه"، وهنا يدعو نيتشه الفرد إلى فهم الحياة وتأويلها انطلاقا من ذاتيته الخاصة جدا، وأن لا يرتبط بأي قوى خارج أسوار الذات، وهذه واحدة من أهم وأجل تعاليم زرادشت لتلاميذ ومريديه حين أراد العودة من جديد إلى عزلته حين قال لهم:"**إنكم تجلوني؛ لكن ماذا سيحدث لو إجلالكم هذا تداعى ذات يوم؟ احترسوا من أن يقتلكم صنم ما**"[٦]، أن تكون الذات هي "أبولو"(إله النور عند الإغريق)، وأن تحد زاوية النظر في ذاتها/لذاتها، والمقصود هنا الـ(تراث) الـ(أصل) الـ(موضوع)، ومسيرة الذات في البحث عن جينالوجياها داخل أنقاض هذا التراث أشبه بـ: " **ربان المركب في زورقه، مفعما بالثقة بما يملك من حرفة في اختراق عباب البحر، المترامي الأطراف بلا نهاية، ارتفاعا وانخفاضًا على ظهر الأمواج العاتية، هكذا يجلس الرجل العادي بهدوء شديد واثقا مستندا إلى مبدأ الفردانية (الشخصنة)**"[٧]، فهي - أي الذات- المرآة العاكسة، التي تعطي للوجود معناه إذا ما اتصلت به، وهي تعطيه أيضا اللامعنى والعدمية إذا ما تركته وهجرته، فقوام الحقيقة قيام الذات بالمساءلة والمحاورة. وهو ما يذهب إليه نيتشه في قوله:" **إن لا مكتشف لحقيقة ذاته، إلا من يهتف هذا هو خيري، وهذا هو شري فيخرس الخلد والقزم، القائلان بأن الخير خير للكل والشر شر للجميع**"[٨]

نيتشه، قلب الموزاين رأسا على عقب، لأن " **قلب القيم**" صميم مشروع نيتشه الجديد بعد أن تراجع عن "**مشروع إرادة القوة**" لعجزه عن: "**إقامة مجتمع لأفراده المتفوقين بل هو يضطر لنقض أولياته القائمة على احتقار الرحمة والرحماء**"[٩]، وانتهى به الأمر يردد: "**إن العالم الذي يتفوق على الإنسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنون، إلى بذل حبه للأصاغر والمستضعفين**"[١٠]، وكأنه يقرأ لأول مرة قصيدة شجرة البلوط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لـــ(هولدرلين) حين يقول:" **كل واحد منكم عالم مستقل، أشـــبه بـــالنجوم فـــي الـــسماء، فعيشوا معا في اتحاد حر**"[١١]، هذا القلب أو "**إعادة التقييم**" **يعبر عنه في كتابه هكذا تكلـــم زرادشت بقوله: " ابتهجوا أيها الإخوة ابتهجوا برفع قلوبكم عاليا، لكن لا تنـــسوا أيهـــا الراقصون، أن ترفعوا أرجلكم أيضا، أو الأفضل أن تقفوا على رؤوسكم**! "[١٢] ، قام نيتـــشه بتحريف زاوية النظر إلى المواضيع، فبدّل معها المفاهيم وتغير الاســـتعمال، بـــل غيـــر مركزية الذات العارفة التي حاولت كل الحداثة التمركز حول الفلسفة/النسق، التـــي أرادت رسم طرائق الحقيقة وتنوير سبل الفرد في سعيه إليها.

على المستوى الاجتماعي لاقت أفكار نيتشه ترحابا كبيرا لـــدى أوســـاط الـــشباب المعاصر، كما أثارت أفكار نيتشه جدلا واسعا في الأوساط الفكرية والفلـــسفية، وكمثـــال على الإستراتيجية النتشوية في التعامل مع المواضيع والتي كانت محل ســـخط أكـــاديمي وقبول اجتماعي، نتبع كيف ضرب فكرة النفس حيث إن :"**من المشكلات الفلسفية ما كان موضوع اهتمام بالغ عند الفلاسفة الأقدمين، وظلت كذلك عنـــد كثيـــر مـــن الفلاســـفة المسيحيين والإسلاميين الأوائل والفلاسفة المحدثين، لكن يظن بعض المفكرين أن لم يعد لتلك المشكلات اليوم سوى الأهمية التاريخية، ومن تلك المشكلات ثنائية النفس والبـــدن في الإنسان**"[١٣] - التي كانت تعد إلى وقت قريب من المواضيع المقدسة لدى الفلاسفة، ولا يجاز الفيلسوف إن لم تتعلق فلسفته بها ولم تعلق عليها- في الصميم، وحـــاول أن يوجـــه الفلسفة المعاصرة صوب دراسة الجسد وفهم أسراره ومكنوناته التي ربما تكون أدل علـــى هوية الإنسان من الأعماق: "**على فرض أن (النفس) كانت فكرة جذابة غنيـــة بالأســـرار الغامضة، ولم يستطع الفلاسفة –والحق معهم – أن ينفصلوا عنها إلا مرغمين، فربمـــا كان ذلك الذي بدأوا يتعلمون كيف يستبدلونه بهـــا أكثـــر جاذبيـــة وأحفـــل بـــالغوامض والأسرار**"[١٤]، لفهم الحقيقة ورؤية صورتها بكامل أبعادها وتفصيلاتها، بكـــل ماورائيتهـــا، وجب تبديل إستراتيجية التعامل ومنطق الفهم. فإذا كان ماركس قد أعـــاد المنطـــق إلـــى وضعية الوقوف الصحيحة (يمشي على قدميه) بعد أن قلبه هيغل (يمشي علـــى رأســـه)، نيتشه يذهب إلى أن الوضعية "الوقوف على الرأس أو القدمين" لا تهم إنما العبرة بالنتائج، الفهم الصحيح والتفسير السليم هو ما يهم الرجل ما بعد الحداثي.

يقول (زارا) في كتاب (هكذا تلكم زرادشت): " **إنني آت لكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي، إلا كائن يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوق عليه**"[١٥]، هـــذه هـــي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القوة التي تنقص الذات التي حررها نيتشه من قمقمها، وهـاهو يهـديها وصـفة التفـوق والتميز، أسرار القوة والثقة بالنفس والتحرر من التقاليد والعادات والأطر المكبلة لإنـسانية الإنسان، والانطلاق نحو إنسانية أخرى، وزمن آخر، ومجتمع غير المجتمع الأشبه بـ" الحلم" بـ" الوهم"، وهو ما أراده من قوله:" **نحن نشعر بالسعادة في خوفنا المباشـر مـن الشكل، إذ إن كل الأشكال تخاطبنا، ولا شيء يقف محايدا أو يكون زائدا عـن الحاجـة، لكن حتى عندما يأتي هذا الواقع الحلم إلينا مصحوبًا بكثير من الشدة، فإننا نبقى نـدرك أن هذا مجرد وهم...كما أن الفلاسفة لديهم إحساس بأن ما وراء الألم الذي نعيش فيـه عالم ثان مختلف وأشد هدوءًا ولذلك فإن عالمنا نحن ما هو إلا وهم**"[١٦]، من هنا لنـا أن نتساءل: أين يمكننا إيجاد الحقيقة؟

الجواب؛ التجربة اليومية، أصل أفعال الإنسان، ومنشأ قيمه وعاداته وتقاليده، ويرى نيتشه أن دراسة مفهوم ما أو قيمة معينة لا بد من نقدها بالعودة إلى أصـولها وظـروف وملابسات نشأتها الأولى، وتلعب اللغة دورا حاسما في فهم القـيم والعـادات والإحاطـة بأصول نشأتها، وهو يرى بأن الكثير من الأخلاقية المتوارثة كانـت بالأسـاس تمييـزات وتقسيمات طبقية، وهو ما يوضحه في تساؤله التالي: " **ما هو بالضبط من ناحية الاشتقاق اللفظي معنى كلمة طيب، في مختلف اللغات؟ عندئذ اكتشفت أنها تشتق كلها من التحول نفسه في المفاهيم، وأن فكرة التميز والنبل بمعنى المرتبة الاجتماعية هي، أينما كـان، الفكرة التي تولدت عنها وتطورت منها بالضرورة فكرة الطيب، بمعنى المتميز من حيث خلقه، وفكرة النبيل بمعنى الكريم المحتد، المصطفى من حيث خلقه...وأبرز مثال علـى هذا التحول الأخير نجده في الكلمة الألمانية** schlecht **(سيء) التي هـي مماثلـة لكلمـة** Soglicht **(بسيط) قارنوا بين** Schlechtweg **(ببساطة)** Schlechterdings**(إطلاقا) والتـي كانـت بالأصل تعني الإنسان البسيط، إنسان العامة، دونما التباس ولا إبهام، مقابـل الإنـسان النبيل ليس إلا** "[١٧]، و"**يعزو نيتشه جدة منهجه في فهم وتفسير هـذه المفـاهيم والقـيم الأخلاقية إلى فقه اللغة وعلم الاشتقاق**"[١٨]، وفي دعوته إلى الذاتية لا يخرج نيتـشه مـن المعامل الأقوى في الحداثة الأوروبية، وهي إيلاء الفرد أهمية علـى المجمـوع، وهـي الدعوة التي كما رأينا نادى بها لوثر في فهم النص المقدس، والفرق بين الدعوتين، يكمـن في مصدر النص، الموضوع، أما الذات فلا زالت وبقيـت تحـافظ علـى مكانتهـا فـي النظرتين. وهو ما يذهب إليه فوكو:" **إن ما بعد الحداثة ليست إلا استكمالا يـأتي نتيجـة بعض المضامين الجذرية لهذا الأمر**"[١٩].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التكملة والتتمة التي تنادي إليها ما بعد الحداثة، والتعايش مع المختلف/المتعدد، في قلب ما بعد الحداثة " **لم يعد يتعلق الأمر بتثمين ثقافة (علمية، غربية) إزاء أخرى، لكنه يتعلق بمديح مزايا الاختلاط، وبالتعدد الثقافي، وبالاختلاف**"[٢٠]، لعدم وجود معيار عام يمكن العودة إليه أو الاقتداء به، ولا مفر من قبول الآخر بكل اختلافاته"عيوبه" على حد تعبير " **جون فرنسوا ليوتار** "، إلا أن ما بعد الحداثة، وإن كانت ثورة على القديم، فلا تعني أبدا هدمه وتقويضه، وإنما حال المجتمعات الغربية التي خيبت آمالها وعود الحداثة، صارت تبعث على الشفقة والسخرية والازدراء، ما يستدعي " **تجاوز المثل التقدمية المرتبطة بفكر الأنوار وبالعقل وبالعلم**"[٢١]، فالصورة عند نيتشه على لسان **ألبير كامي** "**دمار كلي مقبل**"[٢٢] يجب تجنبه وتحويله إلى نهضة وانبعاث.

ولا يكون تجنب هذا الوضع وهذه الحال التي آلت إليها إنسانية اليوم، إلا بتجاوز الأنساق الفلسفية العتيقة، أن يكف عن الأساطير وعما أسماه **جون فرنسوا ليوتار** في مؤلفه الوضع ما بعد الحداثي **La Condition postemoderne** بـ" **الحكايات الكبرى**"(الأنظمة الشمولية، والعلم، والإيديولوجيات السياسية، والحقيقة، والتقدم، والثورة...)، وعلى إنسان اليوم مع ليوتار :"أن يقنع بسيطرة التقنيات والعلوم على وجوده وأن يتكيف مع هذه السيطرة، دون القدرة مع ذلك على الوثوق فيها فيما يتعلق براحته"[٢٣]، والراحة هنا مقصوده الحرية والسعادة، أنشودة الإنسانية الأزلية.

يقول نيتشه في هذا الصدد: " **نحن نشعر بالسعادة في خوفنا المباشر من الشكل، إذ إن كل الأشكال تخاطبنا، ولا شيء يقف محايدا أو يكون زائدا عن الحاجة**"[٢٤]، وهو ما يؤيده ميشال فوكو في تقديمه لكتاب الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، حيث يرى أن اللغة لا تقول فعلا ما تقول، وهو ما يطرح ضرورة إيجاد آليات تأويلية تقربنا إلى مركزية الفكرة، ومن جهة أخرى يقول :" **ثمة أشياء أخرى في العالم تتكلم مع أن هذه الأشياء لا تكون لغة** "[25]، اللغة فعل الكتابة ليس مجرد حبر على ورق، بل هو فعل وأثر، وعليه كل أفعال الإرادة وما تخطه خلفها من آثار تعتبر كتابة بحسبه، وهو عنوان لواحدة من شذراته الشعرية(الشذرة ٥٢)، الكتابة بالقدم:[٢٦]

أنا لا أكتب باليد فقط،
قدمي تريد دائما أن تأخذ نصيبها أيضا.
متينة، حرة وباسلة، تركض،
طورا في الحقول وطورا على الورق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسان الأعلى هو غاية الإنسان الحاضر الذي يعتبر جسرا يقود إلى هذه الغايـــة، طرق الانتقال أو التحول أو التطور ليست كما في السابق تحول عضوي، بل هـــو تحـــول روحي، يمر فيها العقل عبر مراحل: المرحلة الأولى مرحلة الجمل: يشبه العقل الإنـــساني بالجمل أو البعير الذي يثقله صاحبه بالأثقال والأحمال، ويجبر على نقلها لمـــسافات عبـــر الصحراء، وهو حال العقل الإنساني في هذه المرحلة أثقلته التربية، والتـــاريخ، والتـــراث بقائمة طويلة من القواعد عنوانها الرئيس "**ينبغي عليك**"، القائمة على الإيمان الأعمى. وفي هذه الصحراء القاحلة يدرك العقل قدرته على حمل أعباء خاصـــة بـــه عنوانهـــا "**أريـــد**" وقوامها الشك والريبة. وهنا يحرر الإنسان الإله من قمقمه، ليواجه به كل الديانات علـــى اختلاف آلهتها المجهولة، أما إله نيتشه فهو يراه ويحسه بل يتنفسه.

إذا ما رجعنا للاستعمال اللغوي لكلمة اكتشاف والمقصود منـــه : رفـــع الغطـــاء أو الستار بمعنى أزاله عن الشيء ليظهره ويبديه، أما كلمة بحث فهي بمعنى اتبـــع خطـــوات معلومة، واستعمل أدوات لازمة من أجل الوصول إلى معرفة العلاقات أو الأسباب التـــي أدت إلى حدوث ظاهرة ما، بعد هذا يتجلى لنا الفرق الرئيس بين الاكتشاف والبحث، وهو ما يسميه "**هوسرل**" بالقصدية، ففي البحث تتوفر النية والقصد من الـــذات الباحثـــة تجـــاه الموضوع المبحوث عنه أو فيه، أما في الاكتشاف فالصدفة تلعب دورا بـــارزا ولا توجـــد مسافة بين الذات والموضوع كما في عملية البحث التي ترتبط بأدوات ووسائل معينة، أما الاكتشاف فغالبا ما يكون بدون وسائط، كما أنه مرتبط بالحواس في حين يـــرتبط البحـــث أكثر بالقدرات العقلية والذهنية، كما أن اســـتعمال الوقـــت أو الـــزمن "عنـــدما، أمـــست، صرت..." غالب نصوصه الشعرية، يوحي إلى فكرة غاية في الأهمية، وهـــي أن نيتـــشه يتعامل مع الزمن المتعين، ويرفض فكرة الزمان المجرد، ولنا نص نيتشه التالي الموســـوم بـــ"**سعادتي**" لنوثق ما تقدم:

عندما مللت البحث
تعلمت الاكتشاف
ولما أمست لي ريح رفيقا
صرت لكل ريح شراعا[٢٧]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما بعد نيتشه: الراهن الأوروبي بين رؤيوية نيتشه وتجاوزية الفلاسفة:

يعود كل التاريخ الإنساني بكل مكوناته، وتنويعاته، وفتوحاته، وانكساراته، إلى ثنائية (جسد/روح)، هذه الثنائية رغم اختلاف طبيعة حديها، إلا أنها لحكمة ما تعمل في وحدة تكاملية تضمن التناغم والتنسجام، ولا يتأدى ذلك إلا بفهم عميق وتحديد مضبوط لظاهرة الجسد وظاهرة الروح كل على حده، من أجل تبيان دور كل حد داخل الظاهرة الشاملة التي تسمى إنسان، لأن أي استبعاد لحد من حدي الظاهرة سيؤدي إلى ما يشير إليه **إدموند هوسرل** في كتابه **أزمة العلوم الأوروبية والفينومونولوجيا الترانسندنتالية**، حيث يطرح جملة من الأسئلة تتعلق بالأزمة الخانقة التي تتخبط فيها العلوم الأوروبية كالفيزياء والرياضيات، وحتى العلوم الروحية العينية، فلم تسلم من الأزمة لا العلم ولا الفلسفة حيث يحدد الأزمة في :" إن علومًا لا تهتم إلا بالوقائع تصنع بشرًا لا يعرفون إلا الوقائع"[٢٨].

ساد في السابق اعتقاد مؤداه أن الذرة هي أصغر جزء في تكوين المادة، وأن معنى " **أتوموس**" اليونانية يحيل إلى "**غير القابل للانقسام**" هذا الاعتقاد صار اليوم في حكم الباطل بالتجربة، وصار بالإمكان أن تنشطر الذرة إلى نيترونات وفوتونات، مولدة طاقة هائلة، وقد انتقلت عدوى المادة إلى الإنسان الذي تأثر هو الآخر بتطبيقات العلم في نواته المكونة من ثنائية (عقل/حس)، يقول **جون بوديار** ما يفيد ما تقدم في قوله:"**مع ذلك لم ينته الأمر، لأنه بمقدار ما يتعولم محيطنا، وبمقدار ما نتماهى، بإرادتنا أو بالقوة، مع العالم المتكامل، تظهر الثنائية من جديد على السطح في كيفيات اللاتنظيم كافة التي تسكن نظمنا، وحتى في الإنكار الذي نفرضه على جسدنا، وعلى تنظيمنا الذهني من خلال الجنون، والغثيان، والغياب، والاختفاء.**"[٢٩]

كما أن كولن ولسون، يجزم بأن الحضارة الغربية تعيش حالة من التيه والشتات وصلت بها إلى (اللا معنى) " فقدان المعنى يجثم على أدبنا، وفننا، وفلسفتنا"[٣٠]، أو التخشب وتصلب الشرايين بحسب توصيف شبنغلر، وهي بهذه الخطى وعلى هذه الخطة آيلة إلى الانهيار والزوال، لذلك لا بد من دافع واتجاه جديدين، يكونان بمثابة خارطة طريق بإشارات مرور تهدينا السبيل نحو الهدف- معنى الحياة-المصير.

ويرى ولسون أن مصدر مرض الحضارة من الناحية الإبستيمولوجية سببه الرئيس هو الفلسفة التجريدية والمادية على حد سواء، ولعل "غوته" هو أول من تنبه لحقيقة المعضلة، حينما تساءل قائلا: " هناك طريقة أخرى لفهم الطبيعة، إنها نشطة حية تكافح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتتجزأ إلى أجزاء"[٣١]، ذلك أن العلم قام بتقسيم الطبيعة إلى جزأين، مما جعل العلم يتقدم بطريقة عرجاء(**نلاحظ اليوم سيطرة العقلنة**)، وهو ما يدعمه بعد غوته بقرن من الزمان ألفرد نورث وايتهد في كتابه " العلم والعالم " إذ يعد هو الآخر أن صميم المشكلة يعود إلى تقسيم العلماء للطبيعة إلى قسمين، طبيعة منطقية صارمة، وطبيعة فطرية متغيرة.

ويذهب نيتشه إلى أبعد من ذلك، فالمشكلة بالأساس لا تكمن في التقسيم بقدر ما تكمن في عملية التعمية والحجب التي تمارسها الدوغمائيات الصارمة، وهو ما يود قوله من خلال قوله:" إن الإيمان بالنظريات التي تدعو إلى إصلاح الجنس البشري بواسطة الأنظمة، هو كالإيمان بأن الإنسان يصبح أرق كلما أوغل في الحضارة، ولعل ذلك صحيح من الناحية المنطقية، إلا أنه ميال إلى الأنظمة والاستنتاجات المجردة إلى درجة أنه مستعد لتزييف الحقيقة، للتعامي أمام الأشياء التي يراها، والتصامم أمام ما يسمعه ما دام ذلك يساعده على إثبات منطقه، إن الحضارة لا تطور في الإنسان إلا قابلية إضافية على استقبال المؤثرات- وهذا هو كل ما في الأمر، كما أن نمو هذه القابلية يزيد من ميله إلى البحث عن اللذة في سفك الدماء، ولعلك تلاحظ أن أشد الناس دموية وعنفا هم في الوقت نفسه أشدهم تمدنا وحضارة"[٣٢].

أستعير من ألدوس هيكسلي عنوان كتابه لأتساءل من خلاله: هل نعيش في **أفضل العوالم؟** سؤال قد لا يعار له بال، إلا أن الحقيقة هو سؤال يدور في ذهن كل إنسان معاصر لازال واعيا بمدى خطورة الوضع، " إننا إذا لم نكن واعين، فسيتذكرنا التاريخ على أننا الجيل الذي رفع إنسانا إلى القمر... بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال"[٣٣]، وهو ما يعزوه كل من ماركس وانجلز إلى :" أن الهبوط في قيمة العالم الإنساني يزداد بعلاقة مباشرة مع ازدياد قيمة عالم الأشياء... ومن المثير أن الإنسانية العلمانية، وفلسفة الأنوار، وأيديولوجية العقل قد بنيت على أنقاض العناية الإلهية فكرة للتقدم، وعملت على أقنمتها وتشييئها في صورة قانون وضرورة للتاريخ الإنساني"[٣٤].

أصبح واضحا أننا نفهم كلمة الشيء في دلالة ضيقة وأخرى واسعة. الشيء بالمعنى الضيق يدل على ما هو ملموس، ومرئي إلخ...، وعلى ما هو قائم أمامنا. أما الشيء بالمعنى الواسع فيدل على كل شأن... لكن هناك أخيرا أيضا استعمالا للكلمة بالمعنى الأوسع...ما هو الشيء؟ الشيء بأي معنى بالمعنى الضيق أو الواسع أو الأوسع؟[٣٥]، هناك إذن ثلاث مستويات يمكن أن نتعامل معها من خلال فكرة هيدغر:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المستوى الأول: الشيء المتحيز والمحدود ماديا.
- المستوى الثاني: الشيء المتحيز والمحدود عقليا.
- المستوى الثالث: الشيء المتحيز والمحدود ميتافيزيقيا.

الفلسفة الغربية اليوم تعاني من صعوبة التعامل مع هذه المستويات: إذ ينحصر التعامل مع المستوى الأول. والسبب يعود بالأساس إلى أن:"التقنية تؤدي إلى الأسوأ كما تؤدي إلى الأفضل، فهي تقدرنا على التحكم في الطاقات الفيزيقية، كما تقدرنا على التحكم في الطاقات البشرية، فليس العمال وحدهم الذين سخروا لمهام تكرارية ومقننة، بل إن مجموع المجتمع قد أخضع لمنطق الآلة الإصطناعية القائمة على العقلنة وعلى التوقيت المفرط للزمن، ما أدى إلى رد فعل يتجلى في الميل إلى التهالك على الملاهي والاستغراق في العطل"[٣٦].

هل يمكننا القول بأن نبوءة نيتشه قد تحققت، تلك النبوءة التي نستخلصها من قوله التالي:"إن مكانتي الفلسفية مكانة مستقلة كل الاستقلال، على الرغم من كل شعور عندي بأني وريث آلاف من السنين عدة: إن أوروبا الحاضرة لا تعرف مطلقا أية أحداث هائلة يدور حولها وجودي كله، ولا بأية عجلة من المشاكل قد ارتبطت – كما لا تعرف أن كارثة عظمى تتهيأ للحدوث أنا باعثها وأعرف اسمها، لكني لن أقول أبدا"."أنا أعرف مصيري، فإن اسمي سيقترن به يوما من الأيام ذكرى شيء هائل- ذكرى أزمة لم يكن لها من قبل مثيل على ظهر الأرض، واصطدام عميق كل العمق بين الضمائر والعقول بعضها ببعض"[٣٧].

وهو ما تعانيه إنسانية اليوم من خلال تطبيقات مفاهيم الاقتصاد الاستهلاكي على الفرد/المجتمع، وتوجيهه إلى المستوى الهيدغري الأول ... استعمل كارل ماركس المفهوم في - كتاب رأس المال- وسماه "صنمية السلع"، وفي ذات الإطار يؤكد غارودي في كتابه البديل على استنتاجات ماركس في كتاب سابق الذكر، ويرى بأن:"النتيجة الطبيعية للسباق الأعمى على الربح للربح والنمو للنمو هي: التقنية للتقنية والعلم للعلم"[٣٨]، رأس المال هو إنجيل التشيؤ، يملي الدين الجديد على أتباعه اقتناءه واقتناصه، ليأخذهم إلى غيبوبة وجودية لا مناص للخروج منها، هذا الاغتراب يراه سيرل من زاوية أكثر سوداوية، حيث يرى أن كل الوجود الإنساني جحيم وعدم، يرى سيرل أن الإنسان يحقق وجوده في عدميته هو- في العدم خارج الوجود-، وهو ما يترجمه عنوان كتابه: "**يوم ولد الإنسان تبدأ مأساته**".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويدفع ريكور بالموضوع إلى أقصاه، إذ يرى أن الإنسان، لم يوجد الشر بل وجد الشر واستأنفه، هذا الشر الذي أصبح الشغل الشاغل للفلسفة واللاهوت؛ للإنسان. من خلال ملامح والأنثروبولوجيا الفلسفية التي شكلت الجزء الأول لكتابه "فلسفة الإرادة"، تدور هذه الدراسة حول مسألة العصمة أو الهشاشة التكوينية – للإنسان والوجود- التي تجعل الشر ممكنا، ويعزو ريكور نقطة الضعف إلى الخيال الإنساني، غير المحسوم النتائج، لقيامه على أرضية متحركة. والأدهى والأمر في نظر بول ريكور هو التشيؤ الفكري، أو ما يصطلح على تسميته (المعمدانية أو التوثين الفكري)، وهو حالة أخرى أطغى من حالات الاستلاب على مستوى الكينونة مثلما الوثنية الشيئية.

إلا أن المرحلة المعاصرة تميز بين نوعين من العقل، تميز بين العقلانية والعقلنة، وهو ما يصفه هوركهيمر في قوله : " إن العقل الأداتي هو العقل المهيمن في المجتمعات الرأسمالية الحديثة التي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية، وتم تقليصه إلى مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة، وبالتدرج فقد العقل رؤيته للهدف، وأصبح مجرد أداة لتوفير الوسائل وأدى ذلك إلى فقدان العقل للقدرة على الإدراك للحقائق في ذاتها، حيث أصبح كل شيء مجرد وسيلة"[٣٩].

وهو ما دفع بهابرماس إلى البحث عن حل عقلاني للتقنية التي أطبقت على العالم المعيش، واستفردت به من جميع الجهات، فهو يقر بأننا نعيش عصر الرأسمالية المتقدمة والقائمة على التقنية، بل ان شرعيتها أصبحت مستمدة منها هذه التقنية التي قامت بفصل الفعل الإنساني؛ فعل أداتي مبرمج وموجه، يخضع لقواعد تقانية، وفعل عقلاني اختياري ينتظم وفقا لاستراتيجيات قائمة على معرفة تحليلية.. مفهوم العقلنة التي تجلت في ازدياد الحسابية، والبحث عن الربح، والسيطرة المنظمة على كل جوانب الحياة الإنسانية على أساس قواعد قللت من الاعتماد على القيم التقليدية المتوارثة. ولا يتأتى ذلك باعتقاد هابرماس إلا بالعودة إلى الفلسفة: " طالما أن الفلسفة مازالت تعتقد بأنها صاحبة رؤية أكيدة، تتناول كلية الطبيعة والتاريخ، فهي تتصرف بالإطار الذي **نأمل** أن تنتظم فيه الحياة الفردية وحياة الجماعات. توفر بنية الكون كما الطبيعة الإنسانية ومراحل التاريخ الكوني والتاريخ المقدس عناصر فيها بصمات معيارية، تعطي كما يبدو، إشارات إلى الحياة التي يجب أن نعيشها"[٤٠].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما إيريك فروم فيعتبر أن أساس مشكلة الإنسان المعاصر هو الاغتراب، إذ يخلف المجتمع الرأسمالي والشركات المتعددة الجنسية المهيمنة نموذجا موحدًا لإنسان اليوم الذي تحول إلى مشروع، أما حياته فهي رأس ماله، ومهمته تنحصر في استثمار رأس المال هذا قدر الإمكان. والأشياء التي يصنعها الإنسان تدخل هي نفسها في تشكيله، وهو يقول في هذا الشأن:"وبينما أصبح(الإنسان) سيد الطبيعة، غدا عبد الآلة التي بنتها يداه"[٤١]، هكذا تغدو قيمة الإنسان في قابليته للبيع، بعدما تحول كل شيء للبيع، ليس فقط السلع والخدمات بل الأفكار أيضا... وأصبح إنسان اليوم مفتونا بالأجهزة التقنية التي سجنته في زنزانة ذاته الانفرادية ومصلحته الضيقة فـ " لقد كانت الصورة الشائعة للإنسان في القرون الأخيرة، صورة كائن عاقل تتحدد أفعاله بمصلحته الذاتية، والقدرة على التصرف وفق هذه المصلحة"[٤٢]

ويرجع اريك فروم السبب إلى الرأسمالية المعاصرة التي عملت على تحويلنا إلى مستهلكين، فقتلت الإنسان فينا، وطغت الأشياء علينا، وتحكمت الأثمنة في مصائرنا، إذ صار الإنسان:"وهو بكل معرفته عن المادة جاهلاً فيما يتصل بأهم مسائل الوجود الإنساني وأكثرها أساسية: من هو الإنسان؟ وكيف ينبغي أن يعيش؟ وكيف يمكن إطلاق الطاقات الهائلة فيه واستخدامها بصورة منتجة"؟ ويقصد هنا فروم بالإنتاج الإنسان من أجل ذاته، وفي هذا المسعى يدعو اريك فروم ومن والاه إلى تبني" نموذج إرشادي جديد في العلم يدعو إلى علم الحكمة بدلا من علم الحيلة، وإلى التعاون مع الطبيعة بدلا من السيطرة عليها"[٤٣]، وهي المنطلقات التي أرست ما أُصطلح على تسميته بالإيكولوجيا العميقة والإيكولوجيا الضحلة، والفرق بينهما، إن الأول يرى الإنسان جزءًا من الطبيعة وحلقة من حلقات سلسلة الحياة، في حين يرى الثاني أن الإنسان فوق الطبيعة وربما كان هو خالقها.

أما جون بوديار فيذهب بالموضوع إلى أبعد من ذلك من خلال حديث عن فرط السوق وفرط السلعة، فرط المساحات Hyperespacesالتي تعرض فيها السلع: "المقصود هنا في العمق نوع آخر من العمل، عمل تثاقف اجتماعي، ومواجهة، وامتحان وشفرة، وحكم: يأتي الناس إلى هذه الأمكنة ليجدوا ويختاروا أشياء-أجوبة عن كل الأسئلة التي تخطر ببالهم، أو بالأحرى يأتون **هم أنفسهم جوابا** عن السؤال الوظيفي والموجه الذي تكونه الأشياء "[٤٤].

في مقابل وظيفية الشيء نجد ما تملكه الذات من معارف انطلاقا من الأسئلة التالية: هل نعرف؟ وماذا نعرف؟ ولماذا نعرف؟ وكيف نعرف؟ تنطلق المعرفة من جدلية الإمكان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجودي أو **الاستعمال النفعي** أو التبرير المنهجي، كل هذه الأسئلة وإفرازاتها ستفقد قيمتها مع **جون بوديار** الذي يرى باستحالة المعرفة، ذلك أن الذات الإنسانية بكل جاهزيتها لا تملك القدرة على فهم العالم في كليته، وكل ما يمكنها هو فهم أجزاء متقطعة ومجزأة لا تعكس الصورة العامة أو الكلية، ذلك أن :" كل شيء ينطلق من التبادل المستحيل. إن لا يقين العالم هو أنه لا معادل équivalent له أبدا، ولا يمكن مبادلته بشيء. كذلك فإن لا يقين الفكر هو أنه لا يمكن مبادلته لا بالحقيقة ولا بالواقع. هل الفكر هو من يوقع العالم في اللايقين أم العكس؟ هذا أيضا يعد جزءا من اللايقين.[٤٥] اللايقين يؤطر العالم ويغلف الفكر، وعليه تبنى كل معارفنا وعلومنا على الشك والريبة، وتساور حقائقنا على إطلاقها ونسبيتها الاستحالة إلى لا حقيقة. يطيح جون بودريار بأعمال كل الفلاسفة السابقين، ويطوي حقب فلسفية تنازع فيها التيار العقلي (الذاتي) والتيار الحسي (الموضوعي) مبحث المعرفة.

فحقيقة العالم هي التغير بلغة الرياضيات، والإنسان جزء من العالم، وما يجري على الكل يجري على الجزء من الناحية المنطقية، وعليه فالإنسان في تغير دائم، هذا هو مبرر سؤال بودريار السابق: هل الفكر من يوقع العالم في اللايقين أم العكس؟ وإن أمكن بحث العالم، فلا يتأدى ذلك إلا بطريقة تفاضلية، بمعنى دراسة جزئيات لا تعكس حقيقة العالم على اعتبار أنه مجموعة المجموعات.

يصم بودريارد المعرفة بالتقديرية، ولا يمكن أن تكون المعرفة تقريرية بحال من الأحوال بدليل أن كل معارفنا لا يمكن أن تكون "أكثر من معنى تقدير وزن الأرض بملايين مليارات الأطنان"[٤٦]، ومن بين أهم صفات المعرفة التقديرية أنها معرفة قائمة على تعويم للمعنى داخل فضاء علاماتي، هذا الفضاء العلاماتي يختلف من مجتمع لآخر، كما يختلف من الاستعمال اليومي إلى التفكير الفلسفي، داخل هذا الفضاء العلاماتي يجد الإنسان نفسه مجبرا على التعامل بما يجده أمامه من علامات(كودات) من أجل التواصل مع الآخرين بحسب تعبير إمبرتو إيكو، إلا أن بودريارد يصل إلى نتيجة تجعلنا مرغمين على إعادة النظر في ما جاء به الفضاء العلاماتي لإيكو، في قوله:"كف الواقعي عن استمداد قوته من العلامة، كما كفت العلامة عن أخذ قوتها من المعنى"[٤٧].

تتبني المعرفة على الواقع والعلامة والمعنى، في تراتبية عمودية تجريدية، إن بناء المعاني والمفاهيم ينطلق من الواقع ويعود إليه، بمعنى أن الإنسان في اتصاله بالعالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخارجي يبني معانيه ومفاهيمه لاستعمالها في فهم هذا الواقع أكثر، وهو أشبه بالدور الديكارتي، وبما أن المعنى يعاني من مشكلة التعويم الأشبه بتعويم العملة، أين ينعدم البراديم القيمي، هنا يكون لكل إنسان آليات فردية وخاصة، وبانعدام النموذج القيمي أو المنظومة القيمية عند بوديارد يحدث تضخم أساس يدخل النظام في ما يسميه بالفوضى التنظيرية، وهي النتيجة الحتمية لتلاشي أهمية الفكر بل لتلاشي الإنسان.

وهو ما أجاب عنه نيتشه في قوله: "**إن الفلسفة المحمولة بالمخيلة تتقدم قفزا، من إمكانية إلى أخرى تعتبرها للحظة كحقائق يقينية**"[٤٨] ، وفي أفول الأصنام يقول: " **مادامت الحواس تكشف عن الصيرورة، وعن اللاثبات، وعن التحول، فإنها لا تكذب**"[٤٩]، من هذا المنطلق وعلى اعتبار أن المخيلة قوة حسية باطنية تمثل الأشياء في الذهن، هل يتوافق هذا مع فكرة العود الأبدي لنيتشه التي ينطلق فيها من فرضية ثبات الكون؟ أليس الإنسان جزءًا من العالم والوجود الثابتين؟ وهو ما يقوله نيتشه في موضع آخر في كتابه العلم المرح (الشذرة ٥٥) الرسام الواقعي:

"الطبيعة بأمان، كل الطبيعة !"
على أي نحو سيتصرف؟
أيمكن للطبيعة أن تستوفى في الصورة؟
لا نهائي هو أصغر جزء في العالم !
وهو لا يرسم منها في النهاية، إلا ما يريد.
وماذا يريد؟ ما يعرف أن يرسمه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة:

عمل نيتشه من خلال مسيرته القصيرة على بناء فلسفة لا متعينة، فلسفة تكون فيها الذات حاضرة بالفعل، لا بقوة الدوغمائيات التي تعبر عن جاهزية قاتلة لكل حياة، من خلال التخلص من كل شروط الحياة المعتادة، إن قارئ نيتشه يحسه ينطلق في كل مشروعه من السؤال التالي: ماذا لو كانت الفلسفة ثابته ولا تحكمها قوانين الصيرورة (الولادة، النمو التطور...)؟ كيف كانت ستكون حياتنا بعد سقراط؟ فلسفة نيتشه قوامها جهاز معرفي قائم على أسس نظرية تهدف إلى غايات عملية، لتسييد الإنسان على هذه الأرض، الهدم والبناء من أجل قتل الروح الإنكاري وقوى الإرتكاس، وخلق عالم إنساني يمتاز بالحيوية والكثافة، وعلى قدر عال من التذوق، إن فلسفة نيتشه كما يصرح بها في كتابه هو ذا الإنسان، فلسفة الرغبة في الحياة، والرغبة في التعافي من المرض.

إن الفهم الحقيقي لنيتشه يقوم على معادلة وجودية قوامها الفرد المتجاوز لذاته "إنسانيتي هي تجاوز متواصل للذات"[٥٠]، وفردانيته المنصهرة في بوتقة الجمعي من خلال التحمل، هنا وفقط تستطيع الأنا أن تحس وتستشعر قيمة الوجود، هذا الشعور سيؤهلها للعب الدور المنوط بها على أتمه، إلا أن التأويل الضيق والقراءة الحرفية للنص النيتشوي عملت على تشويهه أكثر من استيضاحه، نيتشه أعطانا فهما جديدا للظاهرة الإنسانية القائمة على مسؤولية مركبة بين الذات والموضوع، ولفهم أعمق لهذه الجزئية علينا أن نتساءل عن الحكمة من قطع يد السارق؟ السرقة فعل سبقه تفكير وتدبير وتخطيط عقلي ليس للجسد (اليد) يد فيها؟ فلماذا تعاقب اليد على شيء فعلته ولم تفكر فيه؟ إن هذه الوضعية المشكل ما بين الفكر والجسد، تضعنا في صلب الموضوع النيتشوي الذي يولي أهمية للفعل.

يريد نيتشه أن يسري الفعل في كل شيء من حوله، لذلك عمد إلى قتل الإله والاستعاضة عنه بالصيرورة التي تدب في كل شيء وتتخلله كما يتخلل نور الشمس الظلام، وبدل القول بالأخلاق أو الدستور الذي لن ينفع الإنسان في حياته، استبدله نيتشه بفكرة "النظام الصحي"، فالمريض الذي يصف له الطبيب علته ويوصيه باتباع حمية أو تناول دواء ما كي يتعافى سيطبق (سيفعل) من أجل أن يتعافى، فالجانب الفيزيولوجي للإنسان بنظر نيتشه هو الأقرب إلى الإصابة جراء أي سلوك غير سوي ناجم عن رذيلة ما بلغة الأخلاق. فاتباع هذا النظام الصحي من شأنه الحفاظ على الحياة من الهلاك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأخير يمكننا القول إن هذا هو واقع حال الفلسفة الغربية المعاصرة ومن ورائها كل المجتمع الغربي، بل وكل الإنسانية، واقع مريض يعاني سلسلة من الأزمات والأمراض والمشاكل، وهو ما يدفعنا إلى إعادة قراءة لفلسفة نيتشه كمصدر رئيس من مصادر الفلسفة المعاصرة، وتأويلها على أحسن وجه وفهمها كما ينبغي، ليس من أجل اقتناص الحقائق التي توصل إليها بل لفهم طريقة تفكيره وإستثمارها، ذلك أن نيتشه يرفض أن نجعله صنما يعبد، كما أن فلسفته لم تكن فلسفة يومها أو عصرها، بل هي فلسفة خلقت الإستثناء بقفزها فوق حواجز التاريخ وحدود الجغرافية، لترى إلى المدى البعيد وتحدثنا عنه، بل إن نيتشه بنظرته الثاقبة يفهم حاضرنا أكثر منا، ويشخص أمراضنا بصورة أقوى من شكوانا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة مصادر ومراجع البحث

١- إ، م، بوشنسكي: **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٥، سبتمبر ١٩٩٢، ص ٣٣.

٢- روجيه غارودي: **البديل**، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٠٢، ١٩٨٨، ص ٣٨.

٣- فريديريك نيتشه: **العلم المرح**، ترجمة وتقديم: حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، ١٩٩٣.ط٠١.، ص ٤٢.

٤- فريديريك نيتشه: **أفول الأصنام**، ترجمة: حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، ط٠١، ١٩٩٦، ص ٢٥

٥- **العلم المرح**، مصدر سابق، ص ٤٦

٦- فريديريك نيتشه: **هذا هو الإنسان**، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، ص ١٢.

٧- فريديريك نيتشه: **مولد التراجيديا**، ترجمة: شاهر حسن عبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط٠١، ٢٠٠٨، ص٨٣.

٨- فريديريك نيتشه: **هكذا تلكم زرادشت، كتاب للكل ولا لأحد**، ترجمة: فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، مصر، ١٩٣٨،ص٠٢

٩- المصدر نفسه، ص ص ٠٢،٠٣.

١٠- المصدر نفسه، ص ٠٣.

١١- عبد الغفار مكاوي: **هلدرلين**، نوابغ الفكر الغربي ٢١، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤، ص ١٠.

١٢- نيتشه: **مولد التراجيديا**، مصدر سابق، ص ٧٣.

١٣- محمد فهمي زيدان: في **النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، ١٩٨٠، ص١١.

١٤- أحمد عبد الحليم عطية: **نيتشه وجذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص ٤٤.

١٥- نيتشه: **هكذا تكلم زرادشت**، مصدر سابق، ص ٠٦.

١٦- نيتشه: **مولد التراجيديا**، مصدر سابق، ص ٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٧- فريديريك نيتشه: **أصل الأخلاق وفصلها**، ترجمة: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ص٢٤،٢٥.
١٨- محمد أندلسي: **نيتشة وسياسة الفلسفة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦، ص ١١٠.
١٩- جون ليشته: **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٨، ص٤٦٣.
٢٠- جان فرنسوا دورتيي: **فلسفات عصرنا، تياراتها، هذاهبها، أعلامها، وقضاياها**، تأليف جماعي: مجلة العلوم الانسانية، ترجمة :إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، ط٠١، ٢٠٠٩، الجزائر، ص ١٧٧.
٢١- المرجع نفسه، ص ١٧٧.
٢٢- أحمد عبد الحليم عطية: **نيتشه وجذور ما بعد الحداثة**، ملاجع سابق، ص ٣٢٩.
٢٣- جان فرنسوا دورتيي، **فلسفات عصرنا، تياراتها، هذاهبها، أعلامها، وقضاياها**، مرجع سابق، ص ١٧٨.
٢٤- نيتشه: **مولد التراجيديا**، مصدر سابق، ص٨١.
٢٥- فريدريك نيتشه: **الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي**، ترجمة: سهيل القش، تقديم: ميشال فوكو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٠٢، ١٩٨٣، ص ٠٦.
٢٦- نيتشه: **العلم الجذل**، ترجمة: سعاد حرب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ص ٢٥.
٢٧- نيتشه: **العلم المرح**، مصدر سابق، ص ٢٦.
٢٨- نيتشه: **الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي**، مصدر سابق، ص ٤٧.
٢٩- نيتشه: **أفول الأصنام**، مصدر سابق، ص ٢٧.
٣٠- ادموند هوسرل: **أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترانسندنتالية**، ترجمة: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٨، ص٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣١- جون بوديار: **التبادل المستحيل**، ترجمة: جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط٠١، ٢٠١٣، ص ١١٩.
٣٢- كولن ولسون: **ما بعد اللامنتمي، فلسفة المستقبل**، ترجمة: يوسف شرورو وعمر يمن، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، ط٠٦، ١٩٨٧، ص ١٥.
٣٣- كولن ولسون: **سقوط الحضارة**، ترجمة: أنيس زكي حسين، منشورات دار الآداب بيروت، ص ١٣٠.
٣٤- كولن ولسون: **اللامنتمي، دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين**، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٠٣، ١٩٨٢، ص ١٧٨.
٣٥- ناهدة البقصمي: **الهندسة الوراثية والأخلاق**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ١٧٤، ١٩٩٣، ص ٩٣.
٣٦- إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟**، ترجمة: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٩. ص ٣٤
٣٧- مارتن هيدغر: **السؤال عن الشيء، حول نظرية المبادئ الترانسندنتالية عند كنت**، ترجمة: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠١٢، ص ٣٨.
٣٨- إدغار موران: **هل نسير إلى الهاوية؟**، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ٢٠١٢، ص ٢٦.
٣٩- عبد الرحمن بدوي: **نيتشه**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٠٥، ١٩٧٥، ص ص ١٢٤،١٢٥
٤٠- روجيه غارودي: **البديل**، مرجع سابق، ص ٥٠.
٤١- أبو النور حمدي أبو النور حسن: **يورجين هابرماس، الأخلاق والتواصل**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، ص١٣٣.
٤٢- يورغين هابرماس: **مستقبل الطبيعة الإنسانية، نحو نسالة ليبرالية**، مرجع سابق، ص٨.
٤٣- إريك فروم: **الانسان من أجل ذاته**، بحث في سيكولوجية الأخلاق، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، Ketab.me، ط٠١، ٢٠٠٧، ص ٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤- إريك فروم: **الخوف من الحرية**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٧٢، ص ١٥.

٤٥- إريك فروم: **الانسان من أجل ذاته**، المرجع نفسه، ص ١٦.

٤٦- جون بوديار: **المصطنع والإصطناع**، ترجمة: جوزيف عبد الله، امنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٨. ص ١٤١.

٤٧- جون بوديار: **التبادل المستحيل**، مرجع سابق، ص ١٣.

٤٨- المرجع نفسه، ص ص ١٤،١٥.

٤٩- المرجع نفسه، ص ١٥.

٥٠- نيتشه: **هذا هو الإنسان**، مصدر سابق، ص ٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com